الفصل الرابع عشر

صناعة وتجارة الكتاب
حتى مطلع القرن العشرين

لقد حدث في العالم ، خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر حتى نشوب الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ م ، تطورات وتغيرات رهيبة عميقة كبيرة تركت اثاراً بارزة كل البروز في كل المجالات السياسية والاقتصادية والفنية والتقنية والثقافية والتربوية .

فقد شاهد القرن الثامن عشر الثورة الفرنسية الكبرى سنة ١٧٨٩ م وما رافقها وتبعها من احداث ، ولقد تعاصر معها في نفس القرن وسبقها بقليل الثورة الامريكية التي ادت الى ولادة الولايات المتحدة الامريكية وزوال الاستعمار الانكليزي عن تلك البقعة من القارة الامريكية . كذلك شاهدت السنوات الاولى من القرن التاسع عشر حروب نابليون وما رافقها من احداث وماتبعها من تغيرات وتطورات غيرت بشكل جذري ملامح المجتمع الاوربي في القرن التاسع عشر . ولقد تابعت شعوب اوربا نضالها ضد حكامها وضد المستعمرين حتى تمكنت اغلب هذه الشعوب من تحررها من الحكم الاستبدادي او تحقيق وحدتها الوطنية كما هو الحال في المانيا وايطاليا . ولقد انصرفت اوربا خلال القرن التاسع عشر الى الاستعمار ،وقاد هذه العملية الدولتان الاستعماريتان انكلترا وفرنسا ، حتى تمكنت اوربا من استعمار قسم كبير جداً من افريقيا واسيا . ولقد قاد التنافس الاستعماري وغليان الشعور الوطني والمنافسة الاقتصادية ، مع عوامل اخرى ، الى نشوب الحرب العالمية الاولى التي كان لها نتائج بعيدة المدى .

كذلك رافق هذه التطورات السياسية تطورات اقتصادية لاتقل اهمية واثارة عن التطورات السياسية . فقد ظهر في اواخر القرن الثامن عشر وحدث ما يسمى

باسم الثورة الصناعية التي بدأت في انكلترا ثم انتقلت الى ارجاء اوربا وامريكا . وهدفها احلال الآلة في العمل محل الانسان . وقد ادى ذلك الى مضاعفة الانتاج بشكل هائل لم يسبق له مثيل ، والى توفير وقت انفقه العامل في راحته او ثقافته . كذلك نمت التجارة الداخلية والخارجية بشكل لم يعرف من ذي قبل وتعددت وسائل المواصلات وانتشرت ، وظهرت النظريات الاقتصادية المختلفة .

وفي نفس الوقت ازداد عدد السكان في ارجاء اوربا وامريكا ، فقد قدر عدد سكان اوربا في حدود سنة ١٧٠٠ م ب ١٢٥ مليون انسان ، وصل في حدود سنة ١٨٠٠ م الى حوالي ١٩٠ مليون وفي حدود ١٩٠٠ م الى حوالي ٣٠٠ مليون . وكان اغلب السكان ريفيين خلال القرن الثامن عشر ولكن الثورة الصناعية لم تلبث ان جذبت سكان الريف الى المدن الى المصانع فتوسعت المدن وظهرت مشاكل العمال والعمل وما رافقها من تغيرات اجتماعية واقتصادية ضخمة . كذلك بدأت تظهر العناية بالصحة العامة والنظافة مما ادى الى رفع مستوى السكان الصحي ، وبدأت المدن تزدحم بالسكان . وبدأت العناية بالثقافة والتربية والتعليم تزداد وانتشرت المدارس في القرن التاسع عشر وزاد عدد السكان وزاد بالتالي عدد الذين يعرفون القراءة والكتابة ، وزاد عدد رواد الجامعات وفتحت جامعات اخرى كثيرة واشتد الطلب على الكلمة المطبوعة والمقروءة .

كل هذه التطورات والتغيرات تركت آثارها ، ان سلباً او ايجاباً ، على الكتاب وصناعته وتجارته خلال هذه الحقبة الطويلة من الزمن .

صناعة الكتاب في انكلترا :

لم يصادف فن الطباعة في انكلترا في القرنين السادس عشر والسابع عشر الا نجاحاً ضئيلاً ، فبعد جهود كاكستون الاولى وخلفائه في هذا المجال ، سقط فن الطباعة الانكليزية تحت وطأة الرقابة والشروط السياسية والاقتصادية المتغيرة لمدة قرن ونصف . ذلك انه وجد كثير من الطابعين ولكن كانت الحكومة والمراقبون الدينيون يراقبون انتاجهم ، ولم يحدث تقدم يذكر في هذا المجال الا بعد عودة

اسرة ستيوات سنة ١٦٦٠ م حيث زادت كمية المطبوع وارتفع مستواه . كان الطبع في انكلترا تجارياً ولم يكن فنياً وحتى مسرحيات شكسبير كان طبعها هزيلاً ، فقد كانت الاحرف الاولى غالباً قديمة ومتآكلة ، وكانت الهوامش ضيقة وتصميم صفحة العنوان هزيلاً ؛ وكانت وسائل الايضاح تصنع بطريقة مهملة حتى ان كثيراً من الناس لم يكن يفهمها .

ولقد دخل فن الطباعة في انكلترا بعد سنة ١٦٩٤ م في حياة جديدة ، ولم يأت منتصف القرن الثامن عشر حتى اصبح واحداً من أبدع وأجود فنون الطباعة في اوربا ، فقد بدأ حوالي سنة ١٧٢٠ م وليام كاسلون Caslon ، وهو مصمم حروف طباعية ، يطور ويوجد حروفاً طباعية جديدة تناسب خاصة الالفباء الانكليزية ، وقد استعان كاسلون في عمله هذا باعمال اشهر الطابعين الهولنديين وانتج شكلاً طباعياً للحروف الانكليزية امتاز بوضوحه ودقته ، وقد استعمل واستخدم في عمله مزيجاً من الزوايا والمنحنيات مما جعل منظرها مسراً للقلب . ولقد فاقت حروف كاسلون الرومانية الحروف الكلاسيكية التي ابتكرت فيما بعد ، وذلك بما امتازت به من رقة ، فضلاً عن تخلصها من اي صلابة وتكلف . هذا وتشترك حروف كاسلون هذه ، مع حروف جنسون وغارامون Garamond الرومانية ، في قيامها بالدور الرئيسي في الطباعة في الوقت الحاضر ، لم تشاركها فيه غير امريكا في ايامنا هذه ، اذ صار لانكلترا بفضلها مكانة ممتازة في هذا الميدان .

ولقد اخذ في اواخر القرن الثامن عشر جون باسكرفيل Baskervilleشكل وتصاميم حروف كاسلون وادخل عليها تصليحات كثيرة واستعملها في طباعة عدد من الاعمال التي تعتبر من اجمل الكتب التي تم طبعها في انكلترا مدى العصور . ولقد طبع باسكرفيل ، الذي كان اول امره معلماً للخطوط ، حوالي ٦٧ كتاباً مختلفاً ، ولعل اجمل واشهر كتاب طبعه هو كتاب اعمال فيرجيل . ولقد كانت كتب باسكرفيل غالية الثمن حتى في زمانه هو . ويبدو انها صممت من اجل هواة جمع الكتب الجميلة النادرة بالدرجة الاولى . ومع ذلك فقد وضعت اساساً لمعايير الكمال والاناقة في الطباعة بحيث اصبح لها تأثير دائم ومستمر في عالم الكتب منذ ذلك الحين .

ان القسم الاكبر من ثمرات المطابع الانكليزية ، في عهودها الاولى يتألف من كتب دينية وكراسات سياسية وكتب التراث الكلاسيكي على الرغم من ان كتب التراث لم تطبع في انكلترا بنفس الكثرة التي طبعت بها في اوربا . وقد صدر في اوائل القرن السابع عشر اشهر كتاب طبع في انكلترا حتى ذلك العهد وهو **توراة الملك جيمس** . ونشرت بعيد ذلك اول جريدة في انكلترا وقام بنشرها جون ارشر Archer سنة ١٦٢١ م وهي اولى المحاولات . ولقد الغى الملك شارل سنة ١٦٢٥ م جميع نشرات الانباء وظلت نادرة كل الندرة خلال القرن السابع عشر . كذلك صدرت في اواخر نفس القرن اوائل الدوريات ، وكانت تتألف من اربع الى ثمان صفحات وتحوي آخر الانباء السياسية والعسكرية مع بعض الادب المعاصر واراء المحرر في عدد من الموضوعات المختلفة . ولقد كان اغلب هذه الدوريات يعيش حياة قصيرة لفترة من الزمن مالم تتمتع بدعم سياسي او حكومي . ولقد اصبحت الدوريات عامة في حدود سنة ١٧٨٠ م في انكلترا ومنتشرة هي والصحف والمجلات والحوليات بين الطبقات العليا المثقفة في المجتمع . كان هناك مجلات عامة ومجلات انباء مثل مجلة جنتلمان ، ودوريات ادبية مثل مجلة ريشيارد ستيل تاتلر Tatler ، ومجلة جوزيف اديسون المسماة Spectator ، وكتب حولية مهمة مثل السجل السنوي The Annual Register .

ولقد جرى طبع عدد من الكتب المخصصة للاطفال ويعتبر كتاب **العالم في صور** The World in Pictures اول كتاب مصور للاطفال طبع في انكلترا سنة ١٦٥٨ م . وقد اصبح سنة ١٧٥٠ م جان نيوبيري John Newbery اول ناشر تخصص كلياً في نشر كتب الاطفال . وقد طبع ونشر نيوبيري اكثر من مائة كتاب صغير للناشئة ، وقام هو نفسه بتأليف قسم كبير منها .

ان ظهور الموسوعات في القرنين السابع عشر والثامن عشر في عدد من دول اوربا وبخاصة في كل من انكلترا وفرنسا والمانيا ، والذي تم بجهود مدرسة من الكتاب هو في الحقيقة امتداد وتكامل لمحاولات العصور القديمة والوسطى في جمع جميع المعارف المتاحة في كتاب او سلسلة من الكتب . فقد نشر في سنة ١٦٣٠ م

جوهان هنريخ الستد Alsted في سويسرا ما يمكن اعتباره اول موسوعة حديثة . وفي اواخر نفس القرن قام الفرنسيان بيير سايل Sayle ولويس موريري Moreri بتأليف موسوعة . واصدر سنة ١٧٠٤ م جون هاريس Harris قاموساً انكليزياً للعلوم والفنون بعنوان Lexicon Technicum,or, an Universal English Dictionary of arts and Sciences وقد رتب مواده الفبائياً . وقام افرايم تشامبرز Chambers سنة ١٧٢٨ م باصدار موسوعة بمساعدة عدد كبير من البحاثة الانكليز واعتبر هذا العمل اوثق وادق من عمل من سبقه . وعندما قام ديدرو وصديقه دالامبير في فرنسا في اصدار دائرة المعارف الشهيرة بين سنتي (١٧٥١ ـ ١٧٧٢ م) استعانا بترجمة فرنسية لموسوعة تشامبرز آنفة الذكر . وقد صدرت هذه الموسوعة بعد تأخير طويل ومكافحة شديدة ضد حكومة فرنسا وتدخلاتها وساعدت كل المساعدة على تمهيد الطريق لافكار الثورة الفرنسية . ثم تبعها في الصدور موسوعة اضخم منها بكثير هي (الموسوعة الموضوعية) ولم تقل مجلداتها عن ١٦٦ مجلداً وقام بتأسيسها الناشر الكبير بانكوك Panckoucke ولكنها لم تتم الا بعد وفاته بزمن طويل ، ونشر في لاينبرغ اكبر ناشر الماني هو زدلر اول قاموس عالمي في اربعة وستين مجلداً ضخماً ولازال معتبراً ذا قيمة حتى اليوم .

وصدرت في انكلترا لاول مرة الموسوعة البريطانية سنة ١٧٧٤ م في ثلاثة اجزاء واشترك في هذا العمل عدد كبير من العلماء والخبراء واصبح هذا العمل رائداً ونموذجاً يحتذى حذوه ولاتزال تصدر حتى اليوم . وقد اخذت الموسوعة في نهاية القرن الثامن عشر شكلها الحديث واضيفت اليها وسائل الايضاح مع مقالات طويلة بقلم ثقات وترتيب الفبائي مع احالات واحالات معترضة . . .

كذلك استمرت وسائل الايضاح المحفورة على الخشب في البقاء والظهور في انكلترا واستعملت بها حتى نهاية القرن الثامن عشر ، هذا على الرغم من ان الحفر على النحاس دخل الى انكلترا منذ سنة ١٥٨٨ م وتغلب على الحفر على الخشب . ولكن ظهر فنان حقيقي في القرن الثامن عشر احيا الحفر على الخشب واوصله الى درجة عالية من الكمال . هذا الفنان هو توماس بوييك Bewick . كما ظهر فنان آخر ، وان يكن اقل شأناً من بوييك في هذا المجال هو الطابع وليام بالمر Bulmer .

كان بوييك رساماً بارعاً ، وكان خاصة ماهراً في رسم الحيوان ، واروع آثاره هي بضع مؤلفات كبيرة عن الثدييات والطيور ، وهي غنية بالصور وتمتاز بدقة التعبير عن المظهر الخارجي للحيوانات ؛ كما تمتاز بقوة الفهم لطبيعة كل حيوان على حدة . ولقد انتشر فن مدرسة بوييك في الحفر على الخشب خارج انكلترا ، اذ ادخله الفنانون الانكليز الى القارة الاوربية وامريكا . وقد ظل الحفر على الخشب مستعملاً حتى حل محله التصوير الآلي الفوتوغرافي في القرن التاسع عشر .

تصنيع الكتاب وادخال الآلة الى المطابع :

لقد حدثت تغيرات وتطورات في عالمي الطباعة ووسائل الايضاح منذ عهد غوتنبرغ حتى اواخر القرن الثامن عشر ، ولكن قضية الطباعة وعمليتها لم تتغير كثيراً . فقد بدأت عملية احلال الالات محل الاعمال اليدوية القديمة ، كما حدث في كافة ميادين الصناعة الاخرى ، وقد ابتدأ هذا التقدم باختراع آلة لصنع الورق وتعزى الى الفرنسي روبير سنة ١٧٩٩ م . كذلك اوجد الالماني فريدريك كونيغ Konig المكبس الآلي سنة ١٨١٠ م . ومن قبله ادخل الى انكلترا ستانهوب سنة ١٧٩٨ م آلة ضاغطة حديدية ، وقد اضاف هذا قوة ضاغطة عظيمة لعمل القلاووظ الذي يرفع ويخفض الآلة الضاغطة اوالمكبس وهذا سارع في عملية الطباعة بشكل ملحوظ . وقد اخترع في الولايات المتحدة جورج كليمر مطبعة جديدة هي مطبعة كولومبيا استعمل فيها النوابض ليزيد من قوة الضغط . وقد استعملت جريدة لندن تايمز اختراع كونيغ المذكور آنفاً وزودت المطبعة بمحرك بخاري وتمكنت ان تطبع في الساعة الواحدة ١١٠٠ طبقاً . وقد تأسس في نيويورك سنة ١٨٥٠ م اول مطبعة اسطوانية وقد حسنها فيما بعد الفرنسي مارينوني . ثم اتى بعد ذلك اختراع الاطباق التي عليها الحروف وهي تستعمل الحروف المتحركة ويصب عنها اطباق صلبة كثيرة بسهولة . واتت بعد سنة ١٨٣٠ م اختراعات كثيرة وجديدة في عالم الطباعة جعلت عملية طباعة الكتب

والكراسات اسرع بكثير مما كانت . وقد ادى ذلك الى نمو الانتاج نمواً هائلاً . فبينما كان الانتاج السنوي في المانيا مثلاً ، يقرب من ثلاثة الاف وثلاثمائة مطبوع ، اذا به يقفز في اواسط القرن التاسع عشر الى عشرة الاف ، ثم يناهز الخمسة وعشرين الفاً في نهاية القرن .

وعلى الرغم مما حدث من تقدم في عملية الطباعة ، الا ان عملية صف الحروف ظلت يدوية طوال القسم الاكبر من القرن التاسع عشر . ولقد اخترع وليام شورش Church سنة ١٨٢٢ م طريقة لصف الحروف آلياً ولكن لم ينتشر اختراعه واحتاج الامر الى اكثر من ثلاثين سنة اخرى حتى ينتشر هذا الاختراع . وقد استعمل هذا الاختراع او مشابه له لاول مرة سنة ١٨٥٣ م وتم ذلك على يد وليام ميتشل Mitchell في نيويورك في مطبعة تروى . ثم اتى اختراع اللينوتايب Linotype سنة ١٨٨٥ م الذي تم على يد الالماني اوتومار مرجنتالر Mergenthaler . وكانت جريدة نيويورك هيرالد تريبيون اول من استعمل هذه الطريقة سنة ١٨٨٦ م .

كانت هذه الآلة ـ جامعة الحروف ـ كما كان غيرها من الالات التي صنعت فيما بعد (مثل مونولاين وتيبوغراف Monoline & Typograph) مصنوعة بطريقة تسمح بصهر الحروف وجمعها في اسطر في آن واحد . وكان جمع الحروف يتم بطريق الضغط على ازرار ، كما يحدث بالضبط في الكتابة على الآلة الكاتبة . وقد امكن بفضل آلة اللينوتايب هذه ـ وهي التي يمكنها جمع كل سطر في كتلة مستقلة واحدة ـ اداء عملية الطبع في ثلث او ربع الوقت الذي تستغرقه نفس العملية بطريق الجمع اليدوي .

وقد امكن بفضل هذه الاختراعات طبع اعداد كبيرة جداً من الكتب الشعبية الرخيصة وساهمت في نشر الكتاب وجعلته ارخص بكثير من ذي قبل . على ان هواة الكتب الجميلة ظلوا يفضلون الكتب التي تستخدم طريقة جمع الحروف باليد . كما استعمل في طباعة انواع من الكتب مثل الكتب المدرسية والمسرحيات الناجحة الات طابعة اسطوانية هي ما يسمى باسم Rotative .

وقد بدا للبعض ان عملية صف الحروف آلياً وهي اللينوتايب وعملية الطباعة بالصفحة الواحدة وهي ما تسمى باسم Plate Printing وكأنه رجوع الى الطباعة اللوحية الاولى . وطبعاً ليس الامر كذلك .

ان عملية الطباعة ذات السرعة الفائقة احتاجت الى ورق قوي في شكل ملفات بحيث انه يجب تزويد المطبعة الدوارة السريعة بتيار مستمر متدفق من الورق . وبسبب تزايد نشر الكتب والجرائد باعداد وفيرة فقد اصبح الورق مطلوباً كل الطلب واضطر صانعوا الورق لزيادة انتاج الورق وتحسين نوعيته حتى يقابل احتياجات السوق وتقنية المطابع . فقد تحسنت عملية انتاج الورق وحدثت في صناعة الورق اختراعات مهمة ادت الى تحسين نوعيته وانتاجه بكميات كبرى آلياً . كذلك اكتشفت في القرنين التاسع عشر والعشرين مواد اولية اخرى اضافية لاستعمالها في صناعة الورق . فقد اصبح القطن والكتان نادرين وغاليي الثمن ، وبعد كثير من التجارب امكن صنع الورق من نشارة الخشب . وقد تطورت صناعة الورق كماً وكيفاً وبسرعة مذهلة في الولايات المتحدة الامريكية حتى انه وجد فيها سنة ١٨٨٢ م ٧٤٢ مصنعاً للورق منتشرة في ٢٨ ولاية . وقد تزايد الطلب على الورق في القرن الحالي وبدأ التفتيش على مصادر جديدة لاستعمالها في صناعة الورق .

تطور وسائل الايضاح :

استعمل الطابعون حتى القرن السابع عشر ، طريقتين من اجل انتاج وسائل الايضاح : الحفر على الخشب والحفر على النحاس . وقد ازدهر اول الامر الحفر على الخشب ثم اتى بعده وتفوق عليه الحفر على النحاس ولكن اكتشفت طريقة جديدة في اواخر القرن الثامن عشر من اجل انتاج وسائل الايضاح وهو ما يسمى باسم الطبع على الصخر او الحجر Lithography .

تعزى هذه الطريقة الى الشاعر المسرحي الالماني ألويس سنفلدر Aloys Senefelder اثناء محاولات قام بها بين عامي ١٧٩٨ ـ ١٧٩٩ م لطبع مؤلفاته الخاصة .

كان النص يكتب ـ على حجر جيرى مبلل بمحلول صمغي ـ بمداد دهني . فعندما كان هذا الحجر يغطى بحبر الطباعة ، كان الحبر لايعلق الا بالكتابة ولايعلق بباقي الحجر . وهكذا نشأت طريقة جديدة لاخراج نسخ عديدة ، لاهي بالطبع على البارز كما هي الحال في الحفر على الخشب ، ولاهي بالطبع على الاجزاء المحفورة كما هي الحال في الحفر على النحاس ، وانما كانت طباعة مستوية للصور او الخطوط ، ذلك لان الجزء الذي كان يقوم بعملية الطبع كان في نفس مستوى الجزء الذي لم يكن ليقوم بهذه العملية . وعلى الرغم من الصعوبات التي تفرضها هذه الطريقة ، الا ان استعمالها شاع في كل مكان وبشكل خاص من اجل طبع الاوراق المستقلة ، وكذلك في تصوير الكتب وطبع وسائل الايضاح فيها . ولقد وصلت طريقة الطبع على الصخر في اواسط القرن التاسع عشر الى درجة قريبة من الكمال .

على ان الطبع على الصخر او الحجر عانى بعد فترة منافسة انتصرت عليه بعد فترة وهي طريقة الأكليشيهات او الحفر بالتصوير الشمسي . وقد كانت هذه الاكليشيهات تحفر مرة او مرات ، وبذلك استطاعت ان تظهر في الصور بالالوان وانصاف الالوان .

وقد توصل الفرنسيون ـ بعد سلسلة من التجارب والكشوف ـ الى استخدام التصوير الشمسي في فن طبع الصور خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر . ويعتبر الالماني مايزنباخ Meisenbach اول من نجح فيما بين سنتي ١٨٨٠ و ١٨٩٠ في القيام بعمل صور شمسية ورسوم مظللة . ومالبثت هذه الطريقة ان انتقلت الى امريكا وتحسنت على يد ماكس ليفي Levy .

كذلك استعملت طرق اخرى حديثة لطباعة الصور بطريقة التصوير الشمسي الآلي منها (الحفر بالخطوط)(والحفر الزنكوغرافي) الذي استخدم في تصوير الكتب والدوريات وكذلك طريقة (شبه الحفر) و (الحفر الشمسي) او (الحفر بالتصوير الشمسي الغائر)(والتصوير الشمسي الطباعي)(والتصوير الطباعي الملون) .

ولقد اتى في اواخر القرن التاسع عشر والقرن العشرين التصوير الشمسي الملون والاوفست (الطباعة التصويرية عن السطح الاملس) وغيرها من الطرق . وقد اشتركت الكيمياء والتصوير الشمسي والالكترون والتقنية الحديثة المطبقة في ابحاث الفضاء في انتاج عدد من اساليب التصوير والاساليب التي تنقل الصور او النصوص من مسافات شاسعة جداً وتطبعها او تظهرها وتصورها آنياً فور استلامها .

على ان تغلب استخدام الآلات في انتاج الكتب كان له ردود فعل عنيفة من قبل عدد من الدوائر ، ذلك ان استخدام الالات ، اول الامر ، لم يشجع على جودة الانتاج وانما عمل على الهبوط بالمستوى الفني للكتاب ، وان يكن عمل على مضاعفة الانتاج عدداً كبيراً من المرات . ولكن رد الفعل هذا ، الذي قاده الفنانون المهتمون بشؤن الكتب وتصويرها ، لم يبد واضحاً إلا في الربع الأخير من القرن التاسع عشر .

ويعتبر وليام موريس انشط هؤلاء الفنانين الطابعين المصورين الذين ناضلوا ضد استعمال الآلة في انتاج الكتب بشكل مبالغ فيه .

قام موريس بطبع عدد من الكتب في مطبعته الخاصة في لندن حيث بلغ عددها حوالي اربعين كتاباً ، كلها في طبعات صغيرة الحجم . وقد استخدم في الطباعة حروفاً رومانية سميت الحروف الذهبية . كما استخدم الزخارف والتزيينات في عمل الاطارات . وتعتبر الطبعةالكبيرة التي اصدرها لاشعار تشوسر أروع إنتاجه . هذا وعلى الرغم من اعتماده في انتاجه على منتجات العهود السابقة ، الا ان ذلك الانتاج لايدخل في مصاف السرقات . ولاشك في ان عمله هذا كان يحمل بين طياته نواة طراز متكلف لم يستطع كثير من مقلديه ان يتجنبوه .

هذا ولاشك ان حروب نابليون اثرت على ظروف الكتاب الانكليزي في انكلترا . فقد ارتفعت اسعار الكتب المستوردة من اوربا ، وبشكل خاص من هولندا ، حتى وصلت الى حد عجيب ، وذلك بسبب الحصار القاري الذي فرضه نابليون على انكلترا .

ولقد زخر القرن التاسع عشر بهواة جمع الكتب الذين كان همهم شراء الكتب النادرة والكتب الفنية الجميلة ، كذلك انتشرت المزاودات العلنية في طول البلاد وعرضها ودفعت اثمان خيالية من اجل الكتب .

واثر الانتاج الغزير في ميدان المؤلفات المطبوعة والاهتمام بنشر المعرفة بين اكبر عدد ممكن من الناس ، تأثيراً رائعاً وعظيماً في تجارة الكتب .

وقد ظهر هنا ايضاً التخصص الذي استمر في ازدياده شيئاً فشيئاً ، وهذا ما يفسر مثلاً ، كيف ان بعض الناشرين يفضلون نشر كتب الطب ، بينما يميل آخرون الى نشر كتب القانون ، وغيرهم الى نشر الكتب الفنية .

ولقد سارت متاجر الكتب الانكليزية على طريقة (الحساب الثابت) . ومع هذا ففي وسعهم ان يطلبوا من الناشرين الكتب التي يرغبون هم انفسهم او عملاؤهم بفحصها ، على ان تعاد هذه الكتب الى الناشر في مدى قصير جداً .

ويتعامل كبار الناشرين الانكليز من امثال لونغمان Longmansوموري Murray ومكميلان Macmillan وستانلي انوين Unwin بنظام البيع على آجال قصيرة . ويعمل هؤلاء الناشرون على بيع طبعات كتبهم وفقاً لنظام (الحساب الثابت) السريع الاداء ، الى الوسطاء وتجار الكتب الرئيسيين . اما الكتب التي لايمكنهم بيعها بهذه الطريقة فيبيعونها بسعر مخفض الى بقية التجار المشتغلين بتصفية الكتب غير المباعة .

وخلال تاريخ الطباعة فقد لعبت الكتب الانكليزية وبقية اشكال الكلمة المطبوعة دوراً رئيسياً في نشر التعليم ورفع مستواه ، وبشكل خاص فقد كانت انكلترا في اواخر القرن التاسع عشر سوقاً رئيسية للكتب ومعلماً من عوالم الادب . كذلك انتشرت اللغة الانكليزية مع توسع الامبراطورية البريطانية في العالم . وهكذا فقد وجدت المطابع الانكليزية سوقاً واسعاً في كل مكان . ولقد كانت مطبوعات القرن التاسع عشر في كميتها ومستواها سلفاً صالحاً (للانفجار الاخباري الاعلامي) الذي حدث في القرن العشرين . ولم تظهر قوة الطباعة كوسيلة حية فعالة من وسائل التربية والاتصال وايصال المعرفة الى الجمهور في مكان كما ظهرت في انكلترا خلال القرون القليلة الاخيرة .

صناعة الكتاب في الولايات المتحدة :

لقد شعرت الولايات المتحدة الامريكية بشخصيتها المميزة لها عن اوربا وانكلترا خلال حروب الثورة وما بعدها . وبشكل خاص فان استقلال الولايات المتحدة ادى الى ولادة امة جديدة كانت تسعى لاستكمال مقومات وجودها وشخصيتها .

ولقد رأينا سابقاً كيف توطدت حرية الطباعة والنشر في الولايات المتحدة منذ اواخر العهد الاستعماري ، ولقد زاد العهد الاستقلالي من هذا الاتجاه . ولقد كان اغلب الادب الذي تم طبعه في الولايات المتحدة اول الامر ادباً اوربياً كلاسيكياً . ولكن الاتجاه الذي تغلب في القرن التاسع عشر هو الاتجاه الوطني المحلي ، اذ اتجه القوم نحو انتاج وطبع مؤلفات المؤلفين والكتاب الامريكان ؛ وما ان انتصف القرن التاسع عشر حتى تغلب التيار الوطني المحلي على التيار الاوربي الكلاسيكي وفاق عدد المؤلفين الامريكان الذين ولدوا في امريكا في حقول التاريخ والاداب والعلوم ، عدد اولئك المؤلفين الاوربيين واصبحت المطابع الامريكية تنتج اعداداً متزايدة من مؤلفات الكتاب الامريكان وتقلص عدد المؤلفات الاوربية في تلك المطابع .

كذلك ظهرت اشكال جديدة للطباعة مثل الموسوعات المؤلفة من عدد كبير من الاجزاء ، والاعمال الجمعية وكتب الهدايا الموضحة والحوليات . وبرز بائع الكتب الذي كان سابقاً مشتركاً مع الطابع كمؤسس لمهنة جديدة ومنفصلة عن مهنة الطبع . وقد ارسل الناشرون وبائعوا الكتب وكلاءهم في طول البلاد وعرضها للدعايةلبضائعهم ولزيادة مبيعاتهم منها . وظلت عادة نشر الكتب باعداد كبيرة على اساس الاشتراك سائدة . ولقد اصبحت في اواسط القرن التاسع عشر عملية نشر الكتب المدرسية التي تحتاجها المدارس بانواعها والكليات عملاً ضخماً وذلك بسبب انتشار معاهد التعليم بالعدد والحجم .

ولقد ظهرت بعد سنة ١٨٥٠ م الكتب المؤلفة خاصة للاطفال ، وهي مزينة بالصور ، واصبح الكتاب المخصص للاطفال في حدود سنة ١٩٠٠ م مشروعاً

تجارياً مربحاً ومعترفاً به لدى الناشر وتاجر الكتب . وظهرت بعد الحرب الاهلية (١٨٦٦ م) القصة ذات الجلد الورقي والتي لايزيد ثمنها على عشر سنتات Dime Novel . كذلك بيعت كتب المخاطرات العنيفة بمئات الالوف من النسخ . ولقد طغى الانتاج الغزير على نوعية الانتاج في اواخر القرن التاسع عشر ، ولكن كان هناك رواج لجميع انواع ومستويات القراءة .

ولايزال حتى ايامنا هذه موجوداً عدد قليل من شركات ودور النشر الكبرى التي بدأت اعمالها في اوائل القرن التاسع عشر . فمثلاً شركة ماثيو كاري واولاده Matthew Carey & Sons كانت شركة اسسها وادارها اقتصادي وسياسي معروف هو ماثيو سنة ١٨٢٢ م . فقد اسس ماثيو الاب الشركة وسماها باسم كاري اندلي Carey & Lea . ونفس الشركة لاتزال حتى الان موجودة تحت اسم Lea and Febiger . ويوجد ايضاً عدد من الشركات الاخرى .

وبدأت بعض دور النشر الكبرى في اواخر القرن التاسع عشر تجربة نشر الكتب والمجلات معاً . فمثلاً لم تقتصر شركة هاربر Harper على نشر مجلة شهرية باسم هاربر الشهري Harper,s Monthly وانما نشرت في اوقات مختلفة عدداً من النشرات الاسبوعية والدورية مثل Harper,s Weekly , Harper,s Bazaar Harper,s Young People وفعلت نفس الشيء عدة شركات اخرى .

كذلك تخصص بعض الناشرين باعادة طبع الكتب النادرة او المفقودة وطبعوها طبعات شعبية رخيصة . وظهر منذ سنة ١٩٣٠ م ناشرو الافلام المصغرة الذين اصدروا في شكل افلام مصغرة او بطاقات مصغرة او مطبوعات مصغرة تلك الكتب النادرة او الكتب الطويلة . كذلك ظهرت منشورات بيبليوغرافية همها ضبط وحصر مايصدر في البلاد من مطبوعات ، وهي مايسمى عادة باسم البيبليوغرافيا الوطنية . واشهر ممثل لهذا النوع من المنشورات ذلك المنشور المتكامل الذي تصدره شركة ويلسون تحت اسم Cumulative Book Index ويرمز اليه بالاحرف الاولى الثلاثة من اوائل الكلمات الثلاث المكون منها العنوان . C . B . I

وهناك ايضاً منشور آخر يهدف لنفس الغاية يصدر عن شركة Bowkerباسم Bookes in Print .

ومما لاشك فيه ان بائع الكتب هو حلقة الوصل بين المشتري والناشر . وقد انتشر بائعو الكتب في كل مكان ، وانتشرت محال بيع الكتب باعداد غفيرة في كل بلدة وقرية في الولايات المتحدة ؛ ولعبوا دوراً مهماً في عملية ايصال المعلومات . ولقد ووجه بائعو الكتب في القرن العشرين بمنافسة نوادي الكتب لهم ، تلك النوادي التي استطاعت ان تحقق مبيعات متزايدة في طول البلاد وعرضها . وقد وجد في الولايات المتحدة سنة ١٩٦٨ م اكثر من ١٢٢ نادياً مختلفاً للكتب تبيع جميع انواع الكتب من كتب الاطفال الى الكتب محدودة التوزيع وعرضت اسعار مخفضة لمبيعاتها ، وهذا ادى الى بيع عدد كبير من الكتب ، ولكن ذلك انقص بشكل ملحوظ مبيعات بائعي الكتب .

ولقد اصبح عمل نشر الكتب عملاً اقتصادياً ضخماً له اصوله وله اسواقه وله معامله وعماله . فقد تطور عمل نشر الكتب من عمل قليل من الطابعين المتفرقين في المستعمرات الثلاث عشرة في سنة ١٧٧٥ م حتى اصبح صناعة امريكية ضخمة عملاقة هائلة تستخدم الوف العمال وتنتج في السنة الواحدة اكثر من مليون نسخة من الكتب . ولقد حققت تجارة الكتب ، باستثناء الكتب المدرسية والكتب ذات الجلد الورقي رقماً قياسياً في البيع سنة ١٩٦٨ م وتجاوز عدد مبيعاتها الالف مليون نسخة .

صناعة وتجارة الكتب في فرنسا :

أخذ الحفر على النحاس مكانة أعظم من ذي قبل في زخرفة الكتاب وزينته . فلم تعد زخرفة الكتب قاصرة على الرسوم الحقيقية فحسب بل تعدى الأمر ذلك إلى الأكثار من زخرفة الصفحات بالزخارف الصغيرة والأفاريز الزخرفية والأزهار في بدء كل فصل من فصول الكتاب . وقد أوصل هذا الأتجاه الفني في فرنسا في عصر **لويس الخامس عشر** إلى الكمال عدد من الفنانين ،من

اشهرهم كلود جيلو Gillot الذي كان ذا عبقرية شاملة ، وبوشيه Boucherالذي اوصل هذا الفن الى اوج بهائه وذلك عندما قام سنة ١٧٣٤ م بطبع مؤلفات موليز وزينها باكثر من مائتي زخرفة صغيرة . وعلى الرغم من انه قام بطبع عدد من الكتب الاخرى ذات القيمة الفنية ، الا ان طبعة موليز المذكورة آنفاً تعتبر اروع اعماله .

ومن الصفات المميزة لفن الكتاب الفرنسي في القرن الثامن عشر التعاون الوثيق بين الناشر والطابع والمصور . واذا كنا نجد بوجه عام في كتاب **الصور الصغيرة** انسجاماً كهذا في جميع التفصيلات من حيث الورق الجيد وحروف الطباعة والحروف المزخرفة والزخارف الصغيرة لنهايات الفصول والاشكال ، فان هذه النتيجة ترجع دون شك الى التعاون الموفق .

ولقد استعمل بوجه خاص في مطبعة اللوفر الملكية حرف رسمه فيليب غرانجان Grandjean ويسمى الحرف الروماني الملكي . ثم ظهرت حروف رومانية رسمها حوالي منتصف القرن الثامن عشر فورنيه الصغير .

واخيراً ظهر في اواخر القرن الثامن عشر اسرة كبيرة من الطابعين هي اسرة ديدو Didot التي ابتكرت حروفاً صارت من احسن ماعرف في عصرها . ومن اجَلّ رجال هذه الاسرة فرانسوا ـ امبرواز ديدو Francois – Ambroise Didot (١٧٣٠ ـ ١٨٠٤ م) الذي لم يشتهر فقط بحروفه الرومانية ، وانما نال ايضاً شهرة واسعة ، بابتكاره نظاماً جديداً للحروف ، اي لطريقة خاصة بقياس جسم الحروف الطباعية . وبمقتضى نظام ديدو هذا ، تصف الحروف في وحدات بحيث يكون كل ٢٦٦٠ حرفاً ما يبلغ طوله متراً واحداً . ولقد آلت مطبعة ديدو سنة ١٧٨٩ م الى بيير ابن فرانسوا ـ امبرواز الذي اشتهر بابتكاره لسلسلة كاملة من الحروف الرومانية (الكلاسيكية) التي كثر الاقبال عليها . كما اعلنت هيئة تحكيم المعرض الوطني الذي اقيم في عام ١٨٠١ م ان طبعاته الكبيرة التي في حجم النصف لمؤلفات فرجيل وهوراس ، وكذلك طبعته المصورة لمؤلفات راسين هي احسن مطبوعات في العالم .

ولقد استعاد الحفر على الخشب في فرنسا ، شيئاً من مجده السابق واهميته في مطلع القرن التاسع عشر . ذلك ان اوائل القرن التاسع عشر شاهدت حكم نابليون لفرنسا وحروبه في اوربا ، وهي فترة لم تكن مناسبة لتطور فن الكتاب والتأليف بشكل عام في اوربا .

ولقد ظل الحفر على الخشب سائداً في فرنسا فترة طويلة امتدت حتى عام ١٨٧٠ م وذلك بفضل الفنان غوستاف دوريه 'Dore الذي امتد انتاجه العظيم من رابليه حتى التوراة ، ومن دانتي حتى ادجارالان بو . وقد فضل هذا الفنان الحفر المظلل على الخشب ، اي الخشب الذي لاتقتصر (الصور الصغيرة) فيه على اللونين الاسود والابيض ، وانما تعبر عن ادق الالوان المظللة . وتعتبر (القصص العجيبة) لبلزاك (١٨٥٨ م) اروع ما صوره دوريه .

وقد اصدرت الحكومة الفرنسية عدة تشريعات من اجل تنظيم تجارة الكتب . ذلك ان اقرار مبدأ الحرية الصناعية في عهد الثورة قاد الى تعديل ظروف تجارة الكتب . وقد انتهى عهد تنظيم نقابات الحرف ، بالحالة التي كانت عليها الى ذلك الحين ، بالنسبة لتجارة الكتب وطباعتها ، وصار منذ ذلك الوقت من حق اي فرد ان يزاول هاتين المهنتين . غير ان مرسوماً صدر سنة ١٨١٠ م اشترط بمقتضاه لحق مزاولة مهنة الطباعة ، الحصول على تصريح واداء يمين خاصة ، كما حدد في نفس الوقت عدد الطابعين في باريس بستين طابعاً ، زيد بعد قليل الى ثمانين . غير ان هذا المرسوم الغي سنة ١٨٧١ م مع غيره من القوانين التي تقيد الحرية . غير انه لما صدر سنة ١٨٨١ م قانون المطبوعات تقررت بعض القيود من جديد . واخيراً صيغ قانون الايداع الاجباري صياغة جديدة واتخذ في النهاية طابعه ومداه بالقانون الصادر عام ١٩٢٥ م .

ولقد تمركز الناشرون الفرنسيون في باريس ، وهم يبيعون الكتب للمكتبات التجارية رأساً ، بل وحتى للافراد . ويتم هذا البيع لتجار الكتب ، اما عن طريق (الحساب الثابت) او عن طريق (الايداع التأميني) . ويشبه نظام الايداع التأميني هذا نظام (البيع بالشرط) الالماني .

ويسري في فرنسا ايضاً عرف اعطاء التاجر نسخة بالمجان ، من كل ثلاث عشرة نسخة ، كما يوجد بها وسطاء في تجارة الكتب ، وكلهم تقريباً يقيمون في باريس ، وان يكن عددهم محدوداً . وينحصر دورهم الرئيسي في ان يجمعوا على حدة ، طلبات متجر الكتب الواحد من عدة ناشرين مختلفين ليجعلوا منها طلباً واحداً او ارسالية واحدة ، وهذا يسمح لتاجر الكتب ان يوفر جانباً كبيراً من نفقات النقل التي تنتج من الارساليات والمبيعات الصغيرة المتفرقة ، مع اعتبار اجر الوسيط .

اما(الحسابات المقسطة) التي يفتحها الناشرون الفرنسيون للوسطاء وتجار التجزئة فانها قصيرة الاجل بشكل عام ، بحيث تتراوح بين ثلاثة اشهر وستة اشهر .

ولقد ازدهر الكتاب الفرنسي الفني منذ عام ١٨٨١ تقريباً ازدهاراً كبيراً بفضل الاقبال الشديد الذي يلقاه اليوم الكتاب المصور . قد استمر هذا الازدهار حتى اليوم ، بحيث لم يعد تفضيل صنع الصور قاصراً على الكتب (الكلاسيكية) فحسب ، وانما تعداها الى كتب الادب المعاصر ايضاً ، بحيث صار الكتاب يقدم في شكل خلاصة جامعة للروح الادبية والفنية في عصرنا .

ومع ذلك فالمظهر الذي يبدو فيه هذا الفن مظهر متنوع الى درجة يتعذر معها في الغالب تمييز نزعاته العامة . ولقد ظهر منذ عام ١٨٩٦ م ناشر يدعى بلتان Pelletan كان لنشاطه اثر واضح في فتح مجال كبير للانتاج الفني امام طائفة كبيرة من الرسامين . وكان لايفتأ يقوم بتجارب مستمرة ، وحاول التوفيق بانسجام بين النص والرسوم . كذلك حاول تطبيق برنامجه القائل بان (تصوير الكتاب انما هو تفسير للنص وزخرفة لصفحاته) . وهكذا اتصف هذا الناشر بعقله المثقف المشبع بحب النظام والمنطق . وقد استطاع خلال عمله الذي انتهى سنة ١٩١٢ ان ينشر مايقارب سبعين مجلداً ولوحة ، امتازت كلها بالعناية التامة واتقان المظهر وجمال الاخراج الفني . اضف الى ذلك انه ساعد بروحه النقدية ونظريته الخاصة في (الدلالة التعبيرية للحرف الطباعي) على خلق نماذج جديدة من الحروف ، ممهداً بذلك الى التقدم العظيم الذي عرفته المسابك الطباعية في

فرنسا منذ نهاية القرن الماضي . وقد اجتازت آراؤه حدود فرنسا واعتبرها هواة الكتب المعاصرون قاعدة معترفاً بها .

صناعة وتجارة الكتب في المانيا :

كثر الطلب في المانيا خلال القرن الثامن عشر على كتب الجيب الصغيرة والتقاويم ، وخاصة تلك التي كانت محلاة بالصور الصغيرة المحفورة على النحاس والتي حاكى فيها الفنانون الالمان الفنانين الفرنسيين . وقد ظهر عدد من هؤلاء الفنانين يعتبر دانيل شودوفيكي ابرعهم اذ استطاع ان يظهر قدرة ابتكارية خاصة ، فنجد في رسومه توضيحاً للحياة البورجوازية الالمانية في بعض الحالات ، او مايمكن ان يسمى ايضاً (الحياة في المدينة الصغيرة) .

ولقد هيأ الميل الى للقراءة في المانيا ، وقاد الى تسهيلات جديدة لتجارة الكتب وزاد في انتاج الكتب في النصف الثاني من القرن الثامن عشر زيادة ضخمة فوصل عدد المؤلفين الى الضعف في هذه الفترة الزاهرة من فترات الادب الالماني .

ولقد ازدادت حقوق المؤلفين وضوحاً ومع ذلك لم يكن المؤلفون ، في اغلب الاحيان ، على صلات طيبة مع الناشرين ، لان هؤلاء الاخيرين دأبوا على اصدار طبعات جديدة دون مشاركة المؤلفين بالارباح . وقد لجأ بعض المؤلفين الى نشر كتبهم بانفسهم ، كما فعل ليسينغ Lessing او الى انشاء مؤسسات تعاونية بالاشتراك مع زملائهم لنشر كتبهم .

ولقد ادت عدة عوامل ، منها زيادة حقوق المؤلفين ، ومنها تحسن طبع الكتاب بوجه عام ، الى ارتفاع اثمان الكتب . وقد ادى هذا الامر ، مغ مؤثرات اخرى ، الى نشاط سوق تقليد الطبعات الجيدة حتى تحولت سوق فرانكفورت تدريجياً الى سوق للكتب المقلدة ، مما جعل عدداً من كبار الناشرين يحاول مكافحتها ، واخيراً تدخلت حكومة سكسونيا لصالح الناشرين سنة ١٧٧٣ م . ولكن ذلك لم يؤد الى نتيجة مرضية ، اذ انتقل التقليد الى جنوبي المانيا . ولم تبدأ حملة حقوق المؤلف في المانيا الا في سنة ١٧٩١ م حينما نص القانون البروسي عن

اول تنظيم مفصل لقانون الناشرين ، واصبح المقلدون عرضة لعقوبة مباشرة سريعة . وهكذا فتح مجال جديد سار على نهجه بقية المقاطعات الالمانية الاخرى مما قضى على التقليد قضاءً مبرماً .

ولقد كان تنظيم تجارة الكتب في المانيا في القرن الثامن عشر بطيء التقدم ايضاً ، فبينما التزم الناس في جنوب المانيا طويلاً بنظام التبادل ، كف تجار شمال المانيا عن هذا النظام ولجأوا الى نظام الدفع نقداً . وحوالي نهاية هذا القرن ادى انشاء بورصة الكتب في لايبزغ الى قيام التركيز الذي كان ضرورة ملحة لتجارة الكتب الالمانية .

ولقد نمت في هذا القرن الرقابة السياسية وبدأت الرقابة الدينية تتوارى قليلاً ، الا انه ، في مقابل ذلك ، اشتدت الرقابة السياسية اكثر من ذي قبل .

ولقد ظل الحفر على الخشب في المانيا خلال القرن التاسع عشر اكثر نضارة وحيوية مما كان عليه في الاقطار الاخرى ، غير انه لم يقم من جديد بدور كبير هنا ايضاً الا حوالي نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر . ولقد تأثر فن الحفر على الخشب بمدرسة بويك الفنية ، ولكن لم يلبث هذا الفن ان اتخذ صفة مبتكرة في درسدن بعد ذلك تجلت في رسوم عدد من الفنانين اشهرهم ريختر Richter الذي تمتع باكبر شعبية بين كافة طبقات المجتمع وذلك برسومه العديدة عن الحياة الشعبية ورسومه للقصص التي امتازت بانسجام وثيق مع الروح البورجوازية .

واشهر ما امتازت به الصور الالمانية المحفورة على الخشب ، هو انها كانت تتحرى تماماً اظهار خطوط الفنان اظهاراً تاماً ، كما امتازت باقترابها ، بصفة عامة من الحفر الالماني في القرن السادس عشر . ولذا تجدها تخالف الفن الفرنسي الذي امتاز بحرية اكبر في معالجته لخطوط الفنان .

ولقد تطور فن الطباعة في المانيا في اواخر القرن التاسع عشر تحت تأثير عدد من المؤثرات الفنية ، ولعل اشهرها حركة موريس التي ظهرت في انكلترا وما اثارته من نشاط وردود فعل . فقد قلد الالمان بين سنتي ١٨٨٠ و ١٨٩٠ م فن عصر النهضة الذي ساد في القرن السادس عشر . ولقد اكثروا من استعمال حروف

شواباخ وذلك بغية اعطاء الكتاب مظهراً المانياً قديماً . غير ان الحروف التي سادت بصفة عامة كانت هي الحروف الانكسارية التي لاطعم لها والتي ينعدم فيها الابتكار الفني ، وكانت مصحوبة بالافاريز والزخارف الوردية الشكل التي لاطعم لها والتي بطل استعمالها . ولكن لم يلبث الاثر الانكليزي ان ظهر تدريجياً منذ اواخر القرن التاسع عشرحينما زاد استعمال حروف قوية مسكوبة في قوالب قديمة ، فضلاً عن الانتقال من جمع الحرف الواسع الى الجمع الذي زاد فيه الترابط والضيق مما يزيد الاحساس بالمتانة .

لم تستيقظ متاجر الكتب الالمانية وتنتبه الى ماتعانيه من تجزؤ وتفرقة الا في اوائل القرن التاسع عشر ، وبدأت الجهود تبذل من اجل التوحيد والتنظيم وكان من بين نتائجها انشاء بورصة لايبزغ سنة ١٨٢٥ م .

الا ان العصر لم يكن قد نضج بعد لانشاء تشريع يقاوم التزوير ويحمي حقوق الناشرين وقد مضت العقود الاولى من القرن التاسع عشر وهي مليئة بالمناقشات والمحاولات في هذا الميدان . وقد تمكنت جماعة اتحاد بورصة الكتاب في لايبزغ من اصدار لائحة ثابتة لحمايةحقوق المؤلف وذلك سنة ١٨٨٦ م .

ولقد عقد سنة ١٨٤٠ م اول اتفاق أدبي بين دولتين هما فرنسا والاراضي المنخفضة ، وكان هذا الاتفاق نواة لاتفاق برن Berne ، ثم ما لبثت اتفاقية برن هذه ان عدلت ونقحت عدة مرات حتى انضمت اليها في الوقت الحالي الغالبية العظمى من دول العالم المتحضر ، بحيث صار لكل مؤلف من هذه الدول حق حماية ملكيته الادبية في جميع الدول الموقعة على الاتفاقية .

ولقد امكن تنظيم متاجر الكتب الالمانية تنظيماً جيداً في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وذلك بفضل جهود اتحاد البورصة الالمانية وتحت رعايته . كما كان لهذا الاتحاد فضل انشاء قوائم الكتب الجديرة بالاعجاب لمتاجر الكتب ، والفهارس نصف السنوية والفهارس التي تصدر كل خمس سنوات .

ومركز تنظيم تجارة الكتب كان لايبزغ التي هي مقر نقابة الناشرين ومقر نقابة تجار الكتب الالمان ومركز نشر الصحف المهنية واهمها صحيفة البورصة التي كانت تصدر في جميع ايام العمل ويعلن فيها عن جميع الكتب الالمانية الجديدة .

كذلك كان يوجد ، ولايزال ، دور هامة للنشر ، ليس فقط في المراكز الكبرى مثل برلين ولايبزغ وميونيخ ، وانما ايضاً في عدد كبير من المدن الصغرى وبشكل خاص المدن الجامعية مثل هايدلبرغ وغوتنجن وغيرهما .

هذا وكان يوجد لجميع الناشرين الالمان ـ ممن هم على جانب من الاهمية وان لم يكن لهم مقر في لايبزغ ـ (مستودع عام) للمطبوعات التي يصدرونها لدى وسيط خاص بهم في تلك المدينة ، كما ان التجار الالمان في المدن الاخرى عدا لايبزغ ، يشتركون مع التجار الاجانب ، في تعيين وسيط لهم مكلف ان يشتري لحسابهم الكتب التي ينشرها سائر الناشرين ، حيث ان معظم هؤلاء الاخيرين يرفضون البيع لهم مباشرة .

فهذا التركيز وهذا التنظيم لتجارة الكتب في لايبزغ يسهلان ويفسران ذلك الانتشار الواسع للمؤلفات الالمانية . ومن المبادىء المقررة في البيع النظام المعروف (بالنظام الشرطي) الذي يقضي بتسليم الوسيط وبعض تجار التجزئة عدداً معيناً من نسخ كل طبعة جديدة . اما النسخ المباعة (بحساب ثابت) اي التي يشترط فيها الا ترد الى الناشر فكانت تمنح تخفيضاً اكبر من تلك التي كانت تباع بالشرط .

هذا وان مهلة الدفع كانت قبل الحرب العالمية الاولى مهلة طويلة ولكنها اصبحت بعد تلك الحرب مهلة قصيرة لاتتعدى ثلاثة اشهر ، فضلاً عن ضرورة رد الكتب المرسلة بالشرط الى الناشر .

اما الآجال المتعاقبة والمتجددة كل ثلاثة اشهر والمعروفة بالعقود المجددة فهي غير معروفة في المانيا ، وان تكن مطبقة في فرنسا .

وهناك فئة خاصة من تجار الجملة تسمى اتحاد تجار الجملة الالمان لاتبيع الا لتجار الكتب فقط ، فتنتخب عملاءها من بين متاجر الكتب الصغيرة والدور الاجنبية ، وهم يشترون ، عادة ، عدداً كبيراً من النسخ ، كما يشترون مؤلفات تكون مطروحة (للبيع الجاري) ويحصلون بذلك على تخفيض استثنائي . على ان هذه الفئة من تجار الجملة لاتوجد الا في المراكز الكبرى مثل لايبزغ وبرلين وغيرهما . ومن اهمها شركة كوهلر وفولكمار وشركاهما ، وهي الشركة المشهورة

بقوائم كتبها وبمؤلفاتها الخاصة بعلم المكتبات .

هذا ولابد من ذكر ان التنظيم الذي عرضناه آنفاً ظل سائداً في المانيا حتى نهاية الحرب العالمية الثانية ، ولقد اختلف التنظيم بعد تلك الحرب اثر هزيمة المانيا في تلك الحرب ودمارها واحتلالها من قبل الحلفاء وانقسامها الى قسمين غربي وشرقي ، الاول تحت النفوذ الامريكي والثاني تحت السيطرة الشيوعية .

بعد ان درسنا في الصفحات السابقة تطور الكتاب من اقدم العصور حتى اوائل هذا القرن وبعد ان لاحظنا التغيرات التي طرأت على شكل الكتاب ومهمته ، لابد لنا ان نلاحظ انه على الرغم من كل التطورات المثيرة التي تمت في عصرنا هذا بشكل خاص متميز ، في حقل ايصال المعلومات الى الجماهير واستخدام الحاسب الالكتروني والاساليب التقنية في هذه المجالات ، يبقى الكتاب ، في شكله الحالي ، الوسيلة الاساسية لحفظ وتوزيع المعرفة الانسانية والمعلومات . يمكن لوسائط اخرى من وسائط نقل المعرفة غير الكتاب ، كالافلام المصغرة والشرائح والاسطوانات وحتى (الكتب الالكترونية) ان تكمل الكتاب وتساعد في مهمته ، ولكن لايوجد في الافق اية دلائل تشير الى احتمال انقاص قيمة الكتاب في هذا المجال ، بل يبدو ان دور الكتاب ووجوده قد تدعما ، وسيبقى دور الناشر والطابع وبائع الكتب دوراً مهماً في المجتمع الانساني المتحضر .

المصادر العربية

١ ـ حداد ، جورج . **المدخل الى تاريخ الحضارة** . دمشق ، الجامعة السورية ، ١٩٥١ م ٢ج .

٢ ـ حمادة ، محمد ماهر . **مدخل الى علم المكتبات** . الطبعة الثانية . بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٧٨ م .

٣ ـ حمادة ، محمد ماهر . **المكتبات في الاسلام : نشأتها وتطورها ومصائرها** . الطبعة الثانية . بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٧٨ م .

٤ ـ دال ، سفند . **تاريخ الكتاب من اقدم العصور الى الوقت الحاضر** . تأليف سفند دال ، تعريب محمد صلاح الدين حلمي . القاهرة ، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع ، ١٩٥٨ م .

٥ ـ ديورانت ، ول . **قصة الحضارة** ، تأليف ول ديورانت ، تعريب احمد بدران وآخرين . القاهرة ، لجنة والتأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥٠ م ـ الجزء الاول

٦ـ كريمر ، صمويل . **من الواح سومر** ، تأليف صمويل كريمر ، تعريب طه باقر . بغداد ، مكتبة المثنى .

٧ ـ هيسيل ، الفريد . **تاريخ المكتبات** ، تأليف الفريد هيسيل ، تعريب شعبان عبد العزيز خليفة . القاهرة ، دار الثقافة ، ١٩٧٣ م .

obeikandl.com

المصادر الاجنبية

1 – Chiera , Edward. **They Wrote on Clay**. Ed. by: G.Q. Cameron. Chicago, Phoenix Books, 1959

2 – **Encyclopedia of Library and Information Science**. Ed. by Allen Kent and Harold Lancour. New York Marcel Dekker, 1968

3 – Gates , Jean Key. **Introduction to Librarianship**. 2 ad. Ed. N.Y.,Megraw Hill Book Co., 1967.

4 – Hitti,K.P. **A History of The Arabes**. N.Y.,Macmillan, 1961. 3V.

5 – Jackson , S.L.**Libraries and Librarianship in the West**: A brif history. N.Y.,Mcgraw Hill Book Co., 1974.

6 – Johnson , E.D. **Communication...** 4 th. cd. Metuchen, N.J.,Scarecrow Press , 1973.

7 – Ogg, Oscar. **The 26 Letters.** N.Y.,The Thomas y., Crowell , 1961.

8 – Mc Murtrie, D.e. **The Book...**London , Oxford University Press, 1960

9 – Rider , A.D. A Story of Books and libraries. Metuchen, N.J., The Scarecrow Press , 1976.

10 – Steinberg, S.H. **Five hundred Years of Printing. Balti– more,**Penguin Press , 1961.

11 – Thompson ,J.W. **The Medieval library.** N.Y.,Hofmer Publishing Co., 1976.

12 – Ullman , B.L. **Ancient Writing and its influence** . N.Y., Cooper Square Publishers , 1963.